السخرية في نصوص عزيز نسين المسرحية

عامر صباح نوري المرزوك
جامعة بابل/ كلية الفنون الجميلة
Ameersabah83@gmail.com

الملخص

السخرية عملٌ إنساني يُطهِّر الحياة والمجتمع من الظواهر السلبية التي تقف عائقًا في سبيل تطورهما، والإنسان يلجأ إلى مواهبه للحفاظ على المجتمع ومناصرة الحياة ، وللتوافق مع النظام الاجتماعي ، والسخرية على هذا النحو هي عمل إيجابي بنَّاء ، أو هي فن إبراز الحقائق المتناقضة والأفكار السلبية في صور تبتعد عن الهجوم المباشر ، وعن غرض الانتقام .

زخر المسرح العالمي بتجارب كُتّاب اتخذوا من السخرية السبيل في تجاربهم المسرحية على وفق أسلوب مختلف من عصر إلى عصر ، ومن غاية فردية إلى أخرى جماعية ، ومن أسلوب إجتماعي إلى أسلوب سياسي ، مما جعلها تحمل توليفة ممزوجة من : النقد ، والهجاء ، والتهكم ، والدعابة ، والفكاهة ، والنكته، والهزل .

ويُعد الكاتب المسرحي التركي عزيز نسين (١٩١٥_١٩٩٥م) واحدًا من الكُتَّاب المسرحيين المعاصرين الذين اهتموا بالمجتمع ونقده ، ولعل مفهوم السخرية في مسرح نسين اتخذ شكلاً مغايرًا لما اعتاد عليه الكُتَّاب المسرحيون ردحًا من الزمن ، فهو مسرح (هُجنة) ؛ إذ حاول أن يمزج فيه الجد بالهزل ، والرومانتيكية بالواقعية ، والحقائق الذهنية بالفلسفية ، والجانب الحسي بالجانب العقلي ، في تهكم قاسٍ وسخرية لاذعة ونقد جدلي ، ويُعَدُّ هذا انعكاسًا لما عاشه في حياته التي حفلت بالتحدي الذي تسبب له بالسجن والعداوات ومحاولات الاغتيالات المستمرة ، مما جعله يلجأ إلى اسم مستعار وهو في بداية حياته الأدبية .

الكلمات المفتاحية : السخرية ، التهكم ، الهجاء ، الهزل ، النقد ، الإنسان ، المجتمع ، المأساة ، الملهاة.

Abstract

Ridicule humanitarian act cleanses the life and society of the negative phenomena that stand in the way their development, and human resorts to his talents to keep the community and advocate for life, and to comply with the social order, and irony in this manner is a positive constructive action, or is the art of highlighting the contradictory facts and negative thoughts in pictures moving away from direct attack, and for the purpose of revenge.

Teem world stage experiments book took ironic way to experience the play on according to a different era of style to the era, and individual extremely to another group, and a social approach to political style, which made them carry a combination blended from: criticism, spelling, and sarcasm, and humor, humor, humor, humor.

The writer of the Turkish playwright Aziz Nesin (1915_1995m) and one of the playwrights contemporaries who were interested in the community and his criticism of the book, perhaps the concept of irony in Nesin Theater took a form different from what it is accustomed book Dramatists a certain length of time, it is the theater (hybridization); tried to seriously blends the amusement and romantic realism, facts mental Balvelsvih, side sensuous mental aspect, the jeer cruel and squib and cash polemical, and this is a reflection of what he faced in his life, which was full of challenge that caused him to prison and animosities and continuous attempts assassinations, causing him to resort to a pseudonym, which at the beginning of his life Literary.

Key words : irony, sarcasm, spelling, humor, criticism, man, society, tragedy, comedy.

المقدمة

السخرية عملٌ إنساني يُطهِّر الحياة والمجتمع من الظواهر السلبية التي تقف عائقًا في سبيل تطورهما، والإنسان يلجأ إلى مواهبه للحفاظ على المجتمع ومناصرة الحياة ، وللتوافق مع النظام الاجتماعي ، والسخرية على هذا النحو هي عمل إيجابي بنَّاء ، أو هي فن إبراز الحقائق المتناقضة والأفكار السلبية في صور تبتعد عن الهجوم المباشر ، وعن غرض الانتقام .

ومن هنا التفت الكُتَّاب المسرحيون إلى توظيف السخرية كوسيلة للتعبير عن المواقف الحياتية ، وكأسلوب لرفض ما يدور في مجتمعاتهم ، ولعل أول من بحث عن مفهوم السخرية في نظرية الدراما بإفاضة كاملة هو المُنَظِّر أرسطو Aristotle (٣٨٤_٣٢٢ق.م) في كتابه (فن الشعر) ؛ إذ وقف عند الدراما بشقيها : المأساة والملهاة ، موضحًا مدى استثمار السخرية داخل بنية العمل الدرامي وعلاقتها بمفهوم التطهير . ويرى أرسطو أن الشاعر الإغريقي هوميروس Homer هو أول من أوجز الخصائص الأساسية للسخرية عن طريق معالجة المادة المضحكة علاجًا دراميًّا ، بدلاً من كتابة الهجاء الشخصي .

وقد زخر المسرح العالمي بتجارب كُتَّاب اتخذوا من السخرية سبيلاً في تجاربهم المسرحية على وفق أسلوب مختلف من عصر إلى عصر ، ومن غاية فردية إلى أخرى جماعية ، ومن أسلوب اجتماعي إلى أسلوب سياسي ، مما جعلها تحمل توليفة ممزوجة من : النقد ، والهجاء ، والتهكم ، والدعابة ، والفكاهة ، والنكتة، والهزل ...إلخ . والكاتب الساخر يعتمد بصفة دائمة على أسلحة التهكم المستنيرة الخفية الزاخرة بالغمز والهمز واللمز والتلميح ، وهو يستعين بكل أساليب الدبلوماسية الذكية التي تستقطب كل الأطراف ، لا سيما أنه يحمل الحجة اللاذعة ، والمنطق المتماسك ، والنظرة الثاقبة ، والرؤية الشاملة ، والثقافة العميقة .

ويُعد الكاتب المسرحي التركي عزيز نسين Aziz Nesin (١٩١٥_١٩٩٥م) واحدًا من الكُتَّاب المسرحيين المعاصرين الذين اهتموا بالمجتمع ونقده ، حتى إنه لُقب بـ(جحا القرن العشرين)*، و(المناضل الضاحك) ، و(موليير تركيا) .

ولعل مفهوم السخرية في مسرح نسين اتخذ شكلاً مغايرًا لما اعتاد عليه الكُتَّاب المسرحيون ردحًا من الزمن ، فهو مسرح (هُجنة) ؛ إذ حاول أن يمزج فيه الجد بالهزل ، والرومانتيكية بالواقعية ، والحقائق الذهنية بالفلسفية ، والجانب الحسي بالجانب العقلي ، في تهكم قاسٍ وسخرية لاذعة ونقد جدلي ، ويُعَدُّ هذا انعكاسًا لما عاشه في حياته التي حفلت بالتحدي الذي تسبب له بالسجن والعداوات ومحاولات الاغتيالات المستمرة ، مما جعله يلجأ إلى اسم مستعار وهو في بداية حياته الأدبية ، وعلى وفق ما تقدم من القول يحدد الباحث مشكلة بحثه في الاستفهام الآتي :

ما صور السخرية في نصوص عزيز نسين المسرحية ؟

وتكمن أهمية الدراسة الحالية في إبراز أهمية السخرية في النصوص الدرامية للكاتب عزيز نسين بوصفها معطًى عَوَّل عليه في تشييد أفكار مسرحياته، وطريقًا تنويريًّا في مواجهة السياسة والسلطة ومعالجة هموم الفرد والمجتمع ؛ لأنه كان يؤمن بأن المسرح هو السبيل الوحيد للتعبير عن الحرية .

*هذا اللقب هو عنوان الفيلم الوثائقي الذي صوّر حياة عزيز نسين ولقاءاته عام ١٩٧٥م ، نُشر في موقع (اليوتيوب) بتاريخ ٢٠٠٥/٦/٢٩م ، ينظر الرابط أدناه:
https://www.youtube.com/watch?v=FThHnKwCsTw

وبناءً على ما تقدم من معطيات في أهمية الموضوع لزم الأمرُ أن يُعرِّف الباحث (السخرية) بوصفها أسلوبًا يتخذه الكاتب الدرامي للتعبير عن مكنوناته الذاتية وقضايا الفرد والمجتمع بشكل مبطن ، وتحمل في طياتها هدفًا تصحيحيًّا تحريضيًّا ، سواء أكان على المستوى الأخلاقي أو المستوى الجمالي .

وقد اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي في تحليل العينة المختارة للبحث، وذلك لتماشيه وهدف البحث في تعرف السخرية في نصوص عزيز نسين المسرحية .

الفصل الأول/السخرية في المسرح العالمي

أولاً / مدخل مفاهيمي :ارتبط مفهوم السخرية بعدد من المفاهيم الأخرى كالمفارقة والتهكم والكناية والهجاء ، وتباين موقف الفلاسفة والمفكرين من السخرية ، وهذا التباين ناتج من مواقف فكرية وحياتية ، فهناك من يفسر السخرية تفسيرًا سيكولوجيًّا ، وهناك من يفسرها تفسيرًا فسيولوجيًّا ، بينما جاء موقف آخر يجمع بين الرأيين معًا .

وقد اقترب الفلاسفة من السخرية وعدوها حالة إنسانية ، ووضعوها في منزلة مهمة لا تقل أهميةً عن الضحك في الملهاة ، كما أنها تبتعد عن ملاحقة العيوب الفردية والتقليد المبتذل الفارغ عن المضمون ، بل تكون المرآة الحقيقية التي تعكس صراع الإنسان من أجل تقديم حلول ناجعة ترتبط بالمعنى العميق للحياة وتهدف إلى إصلاح المجتمع وتطويره من خلال إثارة الضحكات أو الابتسامات على أقل تقدير، وذلك باستخدام أية أداة متاحة ، فالغاية تبرر الوسيلة .

ويرى علماء النفس أن استغلال السخرية في تحفيز نوع من العادات أو السلوك من أقوى المؤثرات في زلزلة كيانها وإثارة النفور منها ، فإن للعادات والتقاليد سلطاناً لا يطاوله سلطان آخر ، حتى القانون والسلطة التنفيذية تُعد العادات أقوى منها ، ويضربون لذلك مثلاً بالثأر ، والتشخيص فيها يخرج عن القانون ، إلا أنهم يلحظون أن سلاح السخرية كثيرًا ما ينجح في التغلب عليها ومحاربتها ، وذلك لكونها من وسائل التغيير الاجتماعي ، ويمكن أن تقوم "بوظيفة النقد والإصلاح بالنسبة للجماعة ذاتها ؛ لأنه بسخريته من العادات البالية والتقاليد المقيتة إنما يعمل على خلق جو جديد في صميم الجماعة ، ومن هنا فإن [السخرية] وسيلة اجتماعية نافعة .. وهي وسيلة فعالة لتحقيق ضرب من التغيير الاجتماعي"(١) .

وقد أُطلق مصطلح السخرية لقرون متصلة على القصائد الطويلة الزاخرة بالمواقف والصور لتمييزها عن القصائد المركزة التي تحتوي على حكم وأمثال ، وغالبًا ما نهضت القصائد الساخرة على حوار من وزن شعري معين لتُدين وتسخر من الرذائل والسخافات المنتشرة في المجتمع ، وكان الشاعر الروماني هوراس Horace (٦٥ ق. م _٨ م) قد ألف النماذج الأولى للقصائد الساخرة التي تمتاز بالرقة والتعاطف والنظرة العامة الشاملة . وفي العصور الوسطى أُغرم الناس بالقصائد الساخرة التي كتبها الشعراء من أبناء الأقاليم والبلاد المختلفة ، على الرغم من سيطرة الروح الديني المتزمت . ومع عصر النهضة أصبحت القصائد الساخرة نماذج من الأدب الأوربي الذي اتسم بمزج البطولة بالتهكم بهدف نقد النفس البشرية التي تجمع في داخلها أروع آيات البطولة وأحط أنواع الرذيلة في الوقت نفسه ، حتى اشتهرت الكتابات الساخرة في العصور الحديثة على مستوى الشعر والرواية والمسرح، ولم يرتبط فن السخرية بالتعبير بالكلمات فحسب، بل إننا يُمكن أن نجده في الرقص والموسيقى والفنون التشكيلية(٢) .

---

(١) زكريا إبراهيم ، سيكولوجية الفكاهة والضحك ، (القاهرة : مكتبة مصر للمطبوعات ، ٢٠١٢م) ، ص٦٩ .

(٢) ينظر : نبيل راغب ، موسوعة الإبداع الأدبي ، (القاهرة : الشركة المصرية العالمية للنشر ، ١٩٩٦م) ، ص١٨٢_١٨٤ ، بتصرف.

ويفرق الفيلسوف الألماني هيغل Hegel (١٧٧٠_١٨٣١م) بين الملهاة والسخرية رابطًا ذلك بعيوب الفرد والمجتمع ، مشيرًا إلى أن عيوب الفرد ليست شيئًا مثيرًا للضحك والملهاة بالقدر الذي يجد فيها تناقضًا كبيرًا ، ويرى أن السخرية تُخضع كل شيء للوعي الذاتي ، وتُتَصِّب نفسها سيدةً تمنح الأشياء قيمتها أو تسحب عنها تلك القيم ، فكل جدلية تنمي ما يمكن أن يكون كما لو أنه ذو قيمة، وتدع السخرية الشاملة في العالم تتحرك لتبلغ الوحدة بين العقلاني والحقيقي ، ولهذا فإن الأكثر سموًّا وقدسية والذي يظهر في الناس يمكن أن يكون مادة للملهاة، أما بالسخرية فإنه تعود الملهاة إلى المأساة[١] .

ووضع الفيلسوف الفرنسي هنري برجسونHenri Bergson (١٨٥٩_١٩٤١م) في كتابه (الضحك) حدًّا فاصلاً بين الضحك والسخرية ، مؤكدًا أن الضحك مشاركة عاطفية تنتج عندما نجد شيئًا غير مألوف أو خارجًا عن الطبيعة ، بينما عدَّ السخرية وسيلة للمتعة إضافةً إلى كونها ظاهرة اجتماعية ، ووسيلة للانتقام من المسيئين ، ووسيلة للإصلاح والتوعية ، وهي نتاج اجتماعي يأتي بمشاركة الآخرين، كما أكد أن العقل الساخر لا يمكن أن يسخر وحده ، وأنه لا بد من مشاركة عقول تثيره للسخرية [٢] .

ويحدد الباحث (حامد عبده الهوال) أساليب السخرية فيما يلي[٣] :

١. الرد بالمثل : وهو قائم على التبادل ، وكثيرًا ما يستخدم للفكاهة والضحك لمجرد التسلية ، والرد عادةً يكون أكثر سخريةً ، وأشد لذعًا ، وأدعى إلى الضحك ، وهو يتطلب حيوية الذكاء وسرعة الخاطر ، وقد يأتي بديهيًّا فنشعر بأنه لا رد سواه أكثر تجاوبًا مع الموقف.

٢. اللعب بالألفاظ : هذا النوع يعتمد على الإشراك المعنوي في اللفظ الواحد ، أو على الجناس أو الطِّباق .

٣. اللعب بالمعاني : ومن أنواعه الكناية والتورية والتعريض ، فالكناية : هي التعبير بجملة أو جمل يراد بها معنى آخر مرتبط بالمعنى الأصلي ، وقد يعبر بها عن الفكرة المرادة بألفاظ تؤدي صورة مضحكة ، أما التورية فهي التعبير بلفظ يحتمل معنيين أحدهما بعيد ، وهو ما يريده المتكلم ، والتورية من أهم بواعث الضحك ، وأكثر أنواع الفكاهة شيوعًا في الأدب الإنكليزي، وأساسها في الأدب العربي الاتحاد في اللفظ والاختلاف في المعنى . في حين يُعرف التعريض بأنه : الكلام الذي لا يقصد به المتكلم معناه ، وإنما يقصد معنى آخر ، وليس بين المعنيين تلازم .

٤. المبالغة : وهي أسلوب الفكاهة والسخرية التي تستخدم كثيرًا في التنكيت ، وهي تعتمد على الإفراط في الوصف وتجسيم الصورة أو العيب المقصود.

ثانياً / السخرية في الدراما : حَفَلَ المسرح العالمي بالكثير من التجارب الدرامية التي استثمرت مفهوم السخرية وفق حِقَب وأزمان مختلفة ، ولعل أول كاتب درامي اتخذ من السخرية طريقًا للتعبير عن المواقف الحياتية التي تضمنتها مسرحياته هو الكاتب الإغريقي أرستوفانيس Aristuvanis (٤٥٥_٣٨٥ق.م) ؛ إذ سَخِرَ من الحروب والمؤامرات التي يقوم بها السياسيون آنذاك ، موجهًا سهامه بالنقد ضد النظام السياسي الحاكم ، كما سخر من كُتاب عصره ، وذلك في مسرحية (الضفادع) التي يحيلنا عنوانها إلى ذلك الحيوان البرمائي ، وهو يمثل شعراء عصره بهذا الحيوان الذي ينقنق ويزعج من حوله. أما في مسرحية (السحب)

---

(١) ينظر : أ. أنيكست، تاريخ دراسة الدراما : نظرية الدراما من هيغل إلى ماركس، ترجمة : ضيف الله مراد ، (دمشق : منشورات وزارة الثقافة ، ٢٠٠٠م) ، ص١٨٧ .

(٢) ينظر : هنري برجسون ، الضحك ، ترجمة : سامي الدروبي وعبد الله عبد الدايم ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م) ، ص٥٧_٦٠ ، بتصرف .

(٣) ينظر : حامد عبده الهوال ، السخرية في أدب المازني ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٢م) ، ص٤٠_٤٩ ، بتصرف .

فقد سخر فيها من الفلسفة التي كان يجدها بعيدة كل البعد عن الواقع ، وجسد ذلك بشخصية الفيلسوف سقراط Socrates (٤٧١_٣٩٩ق.م) وصوَّره بشكل مبتذل ساخرًا من بلاغته ومن كل ضروب المعرفة التي كان يعلمها السفسطائيون* .

وقد اختلفت النظرة إلى السخرية باختلاف مراحل تطور المسرح ، وأخذت التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية طريقها إلى المؤسسات الإنسانية ، وبدأت السخرية تأخذ مسارًا مغايرًا لما كانت عليه من قبل ، ولعل من أبرز كُتَّاب السخرية في تلك الحقبة هو الكاتب الفرنسي موليير Molière (١٦٢٢_١٦٧٣م) الذي صوَّر شخصياته في إطار من السخرية منتقدًا مجتمعه وما وصل إليه من سلوك منحرف، معالجًا عيوب المجتمع ، وهذا ما يمكن فحصه بدقة في مسرحياته، ولعل من أهمها: (البرجوازي النبيل،المتحذلقات،البخيل، مدرسة الأزواج ، طبيب رغم أنفه) ، وهذه المسرحيات نجدها بدءًا من العنوانات تشير إلى السخرية من خلال نقد الطباع والأخلاق والخداع والتزييف ، وإبراز العيوب العقلية والنفسية ، وهذا في حد ذاته يُعد أسلوبًا جديدًا في عصره .

وقد نظر موليير إلى المسرح نظرة اجتماعية، وهي جزء من عقيدته ككاتب مسرحي كلاسيكي مهتم بالحوادث التي تلتصق بالمدينة ، فالذكاء والسفسطائية أهم بكثير من الأمانة والطيبة ، والسذاجة تنال عادةً من السخرية ما لا تناله الفتنة والسحر ، وهكذا نجده يخاطب العقل أولاً ، ولا تحفل مسرحياته إلا قليلاً بالجانب القصصي أو العاطفي ، وهو قلما يستخدم العمل المكشوف الواضح ، لكنه يستطيع أن يبعث في جمهوره (الضحك الفكري) ، وهو المثل الأعلى للملهاة الرفيعة(١).

وحديثًا امتازت مسرحيات الكاتب الأيرلندي (جورج برنارد شو)George Bernard Shaw (١٨٥٦_١٩٥٠م) بالسخرية الاجتماعية ، وهي صورة معكوسة لما عاشه في حياته من مآس كبيرة ، وطفولة صعبة ، مما حدا به إلى أن يأخذ على عاتقه معالجة القضايا الاجتماعية وتقديم الحلول لها بشكل مغلف وهادئ بعيد كل البعد عن التشنج والمباشرة ، بل يحتاج إلى تفكير عميق وتأمل طويل ، إنه مسرح للأفكار . وهذا ما يؤكد " أن شو يستثير الصحو الروحي الذي نعتبره من أساس الدراما بفكاهته وسخريته البالغة من المتناقضات التي يوقفها بعضها في مواجهة البعض بأسلوب فني هو الكلمة اللاذعة والحوار المتدفق والصراع المتوتر والنهاية غير المتوقعة..."(٢).

وعلى وفق ما تقدم من متابعة سريعة لتطور مفهوم السخرية في المسرح العالمي وجد الباحث أن السخرية ليست مجرد أسلوب يتخذه الكاتب حتى يثير النفوس بطريقة ضاحكة ، وإنما تتخذ أهدافًا أعمق من ذلك بكثير،وأن نظرة الكُتَّاب المسرحيين لمفهوم السخرية قد انطلقت من الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي المعيش الذي يحيا فيه الإنسان .

---

* السفسطائي : الشخص الذي يجادل ، ويضلل كل شيء وكل حقيقة ، ومن كان دأبه أن يستعمل الأقوال الخلابة والمغالطة في الكلام. ينظر : جعفر الحسيني ، معجم مصطلحات المنطق ، (بقيع : دار الاعتصام للطباعة والنشر ، د.ت) ، ص١٥٨ .

(١) ينظر : فرد ب. ميليت ، وجيرالد إيدس بنتلي ، فن المسرحية ، ترجمة : صدقي خطاب ، (بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٦م) ، ص٢٣١_٢٣٤ ، بتصرف .

(٢) محمد الشرقاوي ، برناردشو والمسرح الاشتراكي ، (القاهرة :الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤م) ، ص٥٢ .

الفصل الثاني/حياة عزيز نسين ومرجعياته

يُعد الكاتب عزيز نسين رائدًا من رواد المسرح التركي المعاصر ؛ إذ كان لكتاباته المسرحية أبلغ الأثر في الجيل المسرحي اللاحق ، وقُدمت مسرحياته على خشبات المسرح التركي ، وكذلك عُرضت خارج حدود تركيا ، ولاقت نجاحًا باهرًا حتى يومنا هذا .

ولد محمد نصرت نسين ، الملقب بـ(عزيز نسين) في مدينة إسطنبول، وبالتحديد في إحدى الجزر القريبة من بحر مرمرة في العشرين من كانون الأول عام ١٩١٥م ، وأنهى دراسته الابتدائية والثانوية وتخرج منها سنة ١٩٣٥م ، لينتقل إلى المدرسة الحربية ، وتخرج منها عام ١٩٣٩م برتبة ضابط في الجيش، وأثناء دراسته العسكرية درس أيضًا في كلية الفنون الجميلة لمدة عامين ، ليجمع بين شخصية العسكري والشاعر والفنان والإنسان ، وتوفي في أوائل تموز عام ١٩٩٥م عن عمر ناهز الثمانين عامًا(١) ، تاركًا أكثر من مائة كتاب في مجالات الإبداع المتنوعة* .

بدأ مشواره في الكتابة بنظم الشعر ، ونشر قصائده باسم مستعار (وديعة نسين) في مجلة (الأيام السبعة) بين عامي ١٩٢٩ و ١٩٤٣م ، وكذلك الحال مع نشره للقصص ؛ إذ أخذ ينشرها باسم مستعار أيضًا ، فقد نشرها في مجلة (الأمة) بين عامي ١٩٤٣ و ١٩٤٤م ، وبعد تركه الجيش برتبة ملازم أول اشتغل بعدد من المهن الحرة ، فقد عمل صُحفيًا في جريدتي (أراغوز) و(الوطن) ومجلة (ماركو باشا) ، وتعرض للاعتقال ، وحكم عليه بالسجن في عام ١٩٤٦م بسبب مقالاته الساخرة التي بقي ينشرها باسم مستعار حتى عام ١٩٥٥م ، وبعدها نشر أول مؤلفاته باسمه الصريح وهو في الأربعين من عمره(٢) .

نظر نسين إلى الأدب بوصفه سلاحًا للدفاع عن الإنسان وحريته ووجوده مهما صعبت الظروف ، ورأى أنه على الكاتب أن يُقدم العالم الخارجي والداخل الإنساني بصورة مترابطة ، وعدَّ ذلك نظامًا يجب أن يسير عليه الكُتّاب لإبراز الصراع بين الفرد والنظام أو المجتمع من جهة ، وبين الفرد ونفسه من جهة أخرى(٣).

ووجد نسين أن الإنسان هو المحور الأساس الذي يدور عليه الكون ، ولذا فإنه وضعه وسط حالات الصراع المتعددة لكي يتخذ القرار المناسب بكل حريته وإرادته، وهكذا حقق نسين تأثيرًا واضحًا داخل بنية المجتمع التركي من خلال منجزه، وقد امتد ذلك التأثير إلى العالم ، فقد كشف نسين ما وصل إليه الإنسان من تخلف وقهر وإقصاء ، يقول في ذلك : "لقد حملت الجحيم الذي يعيش في داخل كياني إلى كل مكان ، إن ثقافتنا في تركيا منفتحة على كل ثقافات العالم وإلى حد كبير ، وقد أفاد كُتَّابنا من شتى الأساليب السائدة في العالم ، كُتَّابنا يستوحون [أفكارهم] من ثقافتهم التقليدية ويمزجونها بالثقافة المعاصرة لتوليف أدب وطني له مميزاته الخاصة"(٤) .

---

(١) ينظر : فاروق مصطفى ، مقدمة كتاب عزيز نسين ، الأعمال المسرحية الكاملة ، ج١ ، (دمشق : منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٦م) ، ص٧ـ٩ .

* ينظر ملحق رقم (١) : مؤلفاته .

(٢) ينظر : شاكر الحاج مخلف ، الأعمدة والفضاء : دراسة نقدية في الأدب والمسرح التركي الحديث ، (دمشق : منشورات دار علاء الدين ، ١٩٩٨م) ، ص٩٤ .

(٣) ينظر : عصام محفوظ ، مسرح القرن العشرين : المؤلفون، ج١ : (بيروت : دار الفارابي ، ٢٠٠٢م) ، ص٣٥٩ .

(٤) ينظر : شاكر الحاج مخلف ، ثلاثة اصوات في الأدب التركي الحديث ، سلسة الموسوعة الثقافية ١٢٤ ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠١٣م) ، ص٢٤١ .

ويرى نسين أن أكبر خطأ ارتكبه _ بمشاركة أبناء جيله من الكُتَّاب_ هو كتابته في كافة الاتجاهات متنقلاً بين الاقتصاد والسياسية وعلم الاجتماع والصحافة وكافة صنوف الأدب من قصة ورواية ومسرحية ، وأن ما فعله لم يكن صحيحًا ، لأنه يرى أن هذا التجوال لم يحقق شيئًا على أتم وجه ، ولكنه أرجع ذلك إلى عامل خارج إرادته الخالصة ، وهو ظروف المجتمع الذي عاشه أيام ذاك ، إذ تَطَلَّبَ منه الدخول إلى عالم السياسية اليومية ، والبحث عن القضايا الاجتماعية والتاريخية ، إلا أن هذا ألحق الضرر بمهنتهم ككتاب وفنانين(١) .

عُرف نسين بأسلوبه الساخر وعُدَّ من بين أبرز كُتَّاب السخرية في العالم؛ إذ كتب "على لسان بعض الحيوانات ، مستعيدًا تراث كليلة ودمنة ، وألف ليلة وليلة، بإسقاطها على الحياة ومشاكل العالم الثالث ، مبرزًا معاناة إنسان هذا العالم ، ملبسًا المأساة أثواب الكوميديا ، منطلقًا في سخريته من تمرد ورفض كبيرَيْن يقترن التعبير عنهما بقدر قليل من القسوة التي تأتي مغلفة بروح الدعابة والمرح الظاهريَيْن لكنها أبدًا تقطر بالمرارة والألم ، [كما تقطر] بالحب أيضًا ، حب المؤمن لشعبه ، وحريته وكرامته وسيادته ..."(٢) .

وينصح نسين الكُتَّاب بأن تكون كتاباتهم ساخرة ، ولكي يحدث ذلك فإنه يجب أن يمروا بآلام كثيرة فالكاتب لا يمكن أن يضحك باستمرار ويكتب أدبًا ساخرًا . ويرى في الكاتب برنارد شو خير مثال لكُتَّاب السخرية في العالم.

تأثر نسين بمسرح الوسط*والأراجوز** وحكايات نصر الدين*** ، ويظهر ذلك التأثير جليًّا من خلال الصور والتعبيرات الكوميدية الساخرة التي يهدف من ورائها إلى كشف مظاهر الفساد والتردي الاجتماعي والإداري ، وهي تدفع بالمتلقي إلى التأمل في الجو العام من خلال السخرية والمرح وتضخيم الحدث ، ولجأ إلى الأسطورة والفولكلور والتراث التركي والشخصيات التي تعرف عنها عن كثب في مراحل حياته ، وكانت معينًا لا ينضب أمده بكتابة المسرحيات الساخرة التي عُدَّتْ إضافةً جديدةً لرصيد الأدب والمسرح التركي(٣) .

وقد عرف نسين أول نجاح له في مسرحية (هل تأتون قليلاً ؟) وهي مسرحيته الأولى التي ألفها عام ١٩٥٨م ومثلت خارج تركيا أولاً على مسرح شويرن في ألمانيا الاتحادية عام ١٩٦١م ، وفي إسطنبول في العام نفسه ، وفي رومانيا ١٩٦٥م ، وأذربيجان ١٩٦٧م ، وتُرجمت إلى لغات عديدة ، وهي تحكي قصة فنان

---

(١) ينظر : عزيز نسين ، آه منا نحن المثقفون الجبناء، ترجمة : أحمد سليمان الإبراهيم (دمشق : دار زوريا للطباعة والنشر ، ٢٠٠٦م) ، ص٤١_٤٢ .

(٢) فاروق مصطفى ، مقدمة كتاب عزيز نسين ، الأعمال المسرحية الكاملة ، المصدر السابق ، ص٨ .

* مسرح الوسط : دعيت بـ(الأورطة أوينوOrtaOyunu) أي : (لعبة الوسط) ، وفي بعض المحاولات أرجعت الأورطة أوينو التي انتقلت من آسيا الوسطى بوساطة أتراك السلاجقة عبر بيزنطة ، أو يؤمنون بأن الأورطة هي من الأنماط الجديدة للفعاليات المسلية ، وفي كل هذه الأنماط يتحول المهرجون إلى ممثلين ، وبالعكس ، ويقام العرض في الهواء الطلق ، حيث يتحلق الجمهور حوله ، حتى استطاع بعض المثقفين الغربيين اقتناص شكل الأورطة ، وأدخلوا عليها عبارات فاضحة ونكات عندما أصبح الأتراك تحت التأثير الغربي . ينظر : عيسى خليل محسن الحسيني ، المسرح : نشأته وآدابه وأثر النشاط المسرحي في المدارس ، (عمان : دار جرير للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦م) ، ص٧٢_٧٤ .

** الأراجوز : اختلف الباحثون في أصل كلمة (قره قوز Kara Göz) ، فمنهم من يقول : إنها كلمة تركية مؤلفة من لفظين ، أولهما : (Kara) ومعناه (أسود) ، وثانيهما : (Göz) ، ومعناه : (عين) ، فيصبح المعنى الكامل : (العين السوداء) ، وقد بحث المستشرق الألماني (ليتمان) عن اشتقاق تاريخي لهذا الشكل الشعبي فوجد أن لفظ (قره قوز) محرف بتأثير اللغة التركية لاسم (قرقوش Kara Kuş) الذي كان وزيرًا في عصر الأيوبيين ، وقد اشتهر بالظلم حقًّا أو باطلاً ، وأنه سُمِّي باسمه لأنه تناول في بداياته الأولى هذه الشخصية التاريخية بالتندر والسخرية كرد فعل للمظالم التي ارتكبها . ينظر :عادل أبو شنب ، مسرح عربي قديم (كراكوز) ، ط٢ ، (دمشق : منشورات وزارة الثقافة ، ٢٠٠٤م) ، ص٢٤_٢٥ .

*** نصر الدين هوجا : شخصية كوميدية تركية عاشت في منطقة اسكي شهير التركية في القرن الثالث عشر ، ويعتبره نسين من كبار أساتذته ، وهو صورة طبق الأصل عن جحا . ينظر : عزيز نسين ، آه منا نحن المثقفون الجبناء، المصدر السابق ، ص١٩.

(٣) ينظر : إبراهيم الداقوقي ، مقدمة مسرحية (وحش طوروس) ، تأليف : عزيز نسين ، ترجمة : جوزيف ناشف ، سلسلة من المسرح العالمي ١٩٦ ، (الكويت : وزارة الإعلام ، ١٩٨٦م) ، ص٢٦_٢٧ ، بتصرف .

صنع آلة موسيقية يريد منها إصلاح المجتمع ، وكتب مسرحيته الثانية (افعل شيئًا يا مت) التي ألفها عام ١٩٦٢م وأراد منها أن يبرز دور الإنسان ، وأن لا يكون رقمًا مجهولاً بين الجموع ، وأنه لابد أن يكون جديرًا بالحياة التي يعيشها، وكتب مسرحيته الثالثة (وحش طوروس) عام ١٩٦٤م والتي مُثِّلَتْ في تركيا عام ١٩٦٥م ، وقد حاول أن يؤكد فيها بأن الحقيقة تتغير مع تَغَيُّر الذوات ووجهات النظر ، وأنها ليست مطلقة(١)، وكتب المسرحيات الآتية* : ثلاث مسرحيات أراجوزية ، أمسِكْ يدي يا روفني ، هيا اقتلني يا روحي،جيجيو ، خمس مسرحيات قصيرة .

ويرى نسين أنه على الفنان المسرحي أن يَنقل جمهور المتفرجين إلى الأماكن العامة بدلاً من جلب هذا الجمهور إلى المسرح ، وأن مسرح الشارع** قد اجتذب الجمهور إلى المعامل والمناطق الصناعية والساحات والحدائق ، ليكون مسرحًا حرًّا يقول ما يشاء ويفعل ما يريد ، ويعالج القضايا اليومية التي تمس المجتمع ، ولكن لم يَستمر هذا النوع من المسارح طويلاً ؛ لأنه لم يجد دعمًا من الدولة أو المؤسسات الأخرى، لكنه باقٍ في الأذهان نموذجًا حيًّا لتجربة إنسانية ناجحة(٢) .

ويوصف مسرح عزيز نسين بأنه "مسرح الفكر الكوميدي الواعي لمشاكل العصر سواء [أ كان] على الصعيد المحلي أو القومي أو الإنساني [، وهو يقوم] بوصف دقيق للواقعية المطلقة التي انصبت على الإنسان والأشياء معًا دون اهتمام بالاستنتاج أو الاستدلال أو الحكم ، بل ترك المشاهد أمام كل هذا الركام من الأفكار والآراء والمواقف والأحداث لكي يستنتج هو ويحكم بكامل حريته وإرادته"(٣) . والحوار في مسرحه تجد فيه الإيجابيات ، وتتوافر فيه التقنية والرشاقة والسرعة والجزالة في التعبير بعيدًا عن الملل ، وهو يتضمن النكتة الذكية ، والتعبير الصادق ، والسخرية اللاذعة المكثفة .

وتُعَدُّ وحدة الفكر في مسرحياته بمثابة الخيط الناظم الذي يَنْظِم العناصر الفنية المختلفة ، ويبدع منها جميعًا قلادة جميلة متماسكة . وهو يريد من الفكرة أن تحيا على خشبة المسرح بعيدًا عن الفخامة الجمالية والإمكانيات المسرحية وتَملُّق الجمهور(٤) .

ومسرح نسين مسرح واعٍ، يقف في منتصف الطريق بين المسرح الحسي الذي يمثله الكاتب الفرنسي جان أنوي Jean Anouilh (١٩١٠_١٩٨٧م) ، والمسرح الفلسفي الذي يمثله الكاتب الإيطالي لويجي بيراندللو Luigi Pirandello (١٨٦٧_١٩٣٦م) ، إلا أنه يختلف عنهما في أن واقعية نسين أكثر عنفًا ، وتحاول فلسفته اكتشاف خفايا أعماق الوجدان البشري ، مع الإيمان بالإنسان واعتباره الحقيقة المطلقة الوحيدة التي يمكن الاعتراف بها في إطار من الفلسفة الكوميدية التي تُحلِّق بنا أحيانًا إلى أجواء الميتافيزيقا في

---

(١) ينظر : جوزيف ناشف ، مقدمة مسرحية (افعل شيئا يا مت) ، تأليف : عزيز نسين ، سلسلة من المسرح العالمي ١٩٧ ، (الكويت: وزارة الإعلام ، ١٩٨٦م) ، ص٢٨_٢٠ ، بتصرف .

* يذكرُ الباحث والمترجم فاروق مصطفى في مقدمة كتاب (عزيز نسين ، الأعمال المسرحية الكاملة : الجزء الأول) الصادر عام ٢٠٠٦م أنه قد ترجم هذه المسرحيات وسترى النور قريبًا ، وفعلاً تم إصدار عدد منها ، وللمزيد ينظر ملحق رقم (١) .

** مسرح الشارع : مسرح يحصل في الأماكن الخارجية وفي مبان تراثية : شارع ، سوق ، ساحة ، جامعة ...إلخ ، ويأخذ مبادرة اجتماعية سياسية مباشرة ، ويشارك الجمهور فيها ، ولطالما كان هناك خلط بين مسرح الشارع والمسرح التحريضي والمسرح السياسي ، وقد اتخذ منذ السبعينيات مظهرًا أقل سياسيًا وأكثر جماليًا . ينظر : باتريس بافي ، معجم المسرح ، ترجمة : ميشاف ف. خطار (بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، ٢٠١٥م) ، ص٥٥٤ .

(٢) ينظر : عزيز نسين ، التعريف بالمسرح التركي، في مجلة الموقف الأدبي ، (دمشق : منشورات اتحاد الكتاب العرب ، العدد ١٣٤، حزيران ١٩٨٢م) .

(٣) إبراهيم الداقوقي ، مقدمة مسرحية (وحش طوروس) ، المصدر السابق ، ص٣٠ .

(٤) ينظر : جوزيف ناشف ، مقدمة مسرحية (افعل شيئا يا مت) ، المصدر السابق ، ص٥_٧ ، بتصرف .

صور إنسانية أو رمزية رائعة ، وهذا هو الوعي الذي يريد الوصول إليه نسين ، ويرى فيه الجوهر والحقيقة التي هي أرفع درجات وجوده المأساوي وبحثه عن درب الخلاص المبتغى[١] .

لقد شكَّل مسرح نسين حلقة من حلقات الأدب الساخر في العالم ، وترجمت أعماله إلى ثلاث وعشرين لغة حية ، وحاز العديد من الجوائز عن منجزه الساخر* ، ولم يترك أية ناحية من نواحي الحياة إلا وكتب عنها ، متبنيًا مفهومًا مفاده : أن الحياة معلمي الأول .. والشعب هو مدرستي ، وبهذا فإنه يُعد واحدًا من أعلام القرن العشرين في الأدب والمسرح .

الفصل الثالث/السخرية في مسرحيات عزيز نسين

العينة رقم (١)/ مسرحية (وحش طوروس)

سنة النشر : ١٩٦٢م

تستمد مسرحية (وحش طوروس) موضوعها بشكل واضح وجوهري من خلال الأحداث والتطورات التي مر بها المجتمع التركي ، ودراسة الأبعاد المرتبطة بالإنسان الراهن حينذاك ، فالمتن الحكائي يتحدث عن جملة من القضايا الاجتماعية ، فشخصية (نوري سايانر) موظف متقاعد يسكن مع عائلته منزلاً قديمًا ، ويهوى جمع أغلفة شفرات الحلاقة ، زوجته (مهريبان) سليطة اللسان ، إنسانة لا تزال تؤمن بالسحر والشعوذة ، ولهما ولدان ، الشاب (متين) طالب في الجامعة ، من الشباب الجديد الذي يهوى الحياة ، والفتاة (جول آي) تركت الدراسة وجلست في الدار تنتظر مصيرها المحتوم بالزواج .

وفي الجهة الثانية نطالع شخصية (زيا جلاكجي)* صاحب الدار الذي تسكن فيه عائلة (نوري) والذي يحاول إخراجهم من داره بكل الوسائل رغم فشله ، ووجد أفضل الحلول في أن يُسكن في الطابق الأعلى منهم جماعة تحترف المشاكل وتعلو أصواتهم وأصوات الموسيقى والرقص والضحكات أثناء الليل والنهار ليزعجهم ويجعلهم ينفرون من الدار ، وفي جو كوميدي ساخر يأتي صاحب الدار لكي يعرف مدى تأثير ذلك عليهم:

نوري : مضى علينا أربعون سنة في هذه الدار ولم نسترح يومًا واحدًا .

زيا : هل حدث مني أي قصور ؟

نوري : كلا لم يحدث .. والله العظيم لم يحدث .. الأفضل أن تجلس في الداخل يا سيدي العزيز .

مهريبان : "تضع وسادة على الكرسي الخشبي" تفضل إلى هنا ..

زيا : "يقف بحده" كفاكم نفاقًا .. لقد جئت لأتكلم كلمتين فقط .. دعوني أستطيع أن أسمع وأنا واقف "بهدوء" لقد ربحتم دعوة التخلية ، أليس كذلك ؟ "يضحك بسخرية" والواضح أنكم سعداء بهذا ..احسبوا كما تحسبون .. هناك مثل مشهور يقول : من يضحك في الأخير يضحك بسعادة .. وهناك مثل آخر : كل شيء يتكشف عندما تنتعل الأحذية[٢] .

---

(١) ينظر :إبراهيم الداقوقي ، مقدمة مسرحية (وحش طوروس) ، المصدر السابق ، ص٢٨_٢٩ ، بتصرف .

* ينظر ملحق رقم (٢) الجوائز .

* زيا : تعني باللغة العربية (ضياء) .

(٢) عزيز نسين ، مسرحية (وحش طوروس) ، المصدر السابق ، ص٥٩ .

ويقف نسين من الشعوذة والسحر موقفًا ساخرًا ، وهو بذلك يعود إلى التراث الشعبي رابطًا إياه بالمعاصرة ، وهو تراث مليء بالسخرية والمواقف المضحكة ، ويتجلى ذلك من خلال شخصية الزوجة (مهريبان) التي تتهم زوجها بالخيانة من خلال حُلم يراودها لأربعين عامًا ، والحقيقة أنه نائم جنبها ، وكل الذي تقوله من نسيج خيالها ، ومن إيمانها بالسحر ، ولا يرتبط بالواقع :

نوري : أوف .. لقد مضى على هذا الحلم أربعون سنة .. وكل صباح ومساء تتكرر نفس الأسطوانة .. دائمًا نفس الحلم .. قال : رأتني بعينها ..

مهريبان : وماذا لو كان الأمر حلمًا ؟ .. طبعًا الإنسان في حلمه لا يبصر برجله .

نوري : يا سيدتي .. يا زوجتي .. هناك شيء اسمه المنطق .. كيف يجوز لامرئ يرى حلمًا أن يعتقد بأنه حقيقة ؟ هل كنت تنوين الذهاب إلى القسم وأنت تحلمين ؟

مهريبان : إنك لا تفهم الحديث .. أربعون سنة مضت وأنا أشرح لك ولكنك لا تفهم أنني تأكدت من أن حلمي صحيح عندما ذهبت في الصباح التالي إلى ذلك المكان فوجدته حقيقيًّا .. عندئذ أردت أن أذهب إلى القسم وأتقدم بشكوى ضدك[١] .

ويرى الباحث أن السخرية اللاذعة ضد المهازل السياسية التي تحاك ضد الشعوب المسكينة هي الهمُّ الأول لنسين ، فهو يدين إدانة واضحة الواقع السياسي المزري الذي عاش في كنفه لسنوات طويلة ، ويرفضه بكل أنواع الرفض ، وقد أشار المؤلف بشكل واضح إلى إدانته للسياسة ومن خلال رفض الأب (نوري) انتمائه لأي حزب، ورفضه للسياسة ، ووصفها بالرذيلة ، فكانت هذه الشخصية تحكي لسان حال المؤلف ، ويظهر ذلك في الحوار الآتي:

متين : أبي .. كل الذنب يقع على عاتقك ..

نوري : ولماذا ؟

متين : ولماذا ؟ لقد طلب الرجل منك أن تنتمي إلى الحزب .. ماذا سيحدث لو أنك دخلت ؟ لقد انزعج كثيرًا من تصرفك هذا ..

مهريبان : اسمع .. هذا صحيح .

نوري : يا ناس .. ما دخلي أنا في الحزب .. وما عملي أنا في السياسة ؟ وما هي السياسة ؟ من أنا ؟

متين : ماذا سيحدث لو أنك تنظمت في الحزب ؟

نوري : الله .. الله .. أقول لكم إنني أكره السياسة .. أخاف منها .. أخاف من الأحزاب أيضًا .

متين : إنك تخاف من السياسة والتجارة .

مهريبان : إن والدك يخاف من كل شيء .

نوري : نعم .. أخاف .. إنني أخاف من السياسة والتجارة والرذالة أيضًا[٢]

---

(١) المصدر نفسه ، ص٤٦_٤٧ .

(٢) عزيز نسين ، مسرحية (وحش طوروس) ، المصدر السابق ، ص٤٦_٤٧ .

وقد حفلت مسرحية (وحش طوروس) بالكثير من المواقف الساخرة التي ضمَّنها نسين في متنها ، وأراد من ورائها أن يقدم العِبَر إلى القارئ/المتلقي لكي يعتبر بها، ويتخذ موقفًا رافضًا لكل السلوكيات المنحرفة التي تُخرج الإنسان عن إنسانيته ، ونسين يدرك لِمَنْ يكتب ، فتميز بالإدراك الفني المرهف ، والوعي النقدي، والتشكيل الجمالي ، وكيفية صياغة البناء الدرامي بأسلوب شيق دقيق بعيد كل البعد عن الملل والضجر ، أي إنه يكتب نصوصًا لتمثل على خشبات المسرح ، لا لتُرْكَن على الرفوف .

العينة رقم (٢)/ مسرحية (افعلْ شيئًا يا مت)

سنة النشر : ١٩٦٤م

يطالعنا عزيز نسين في مسرحية (افعل شيئًا يا مت) بمتن حكائي تدور أحداثه عن شاب يدعى (مت) يعيش في بيئة غير عادية ، وعائلة تتألف من أب يدعى (نك) وأم (رى) وجد (شو) ، وخطيبة (كير) وخادم (كيناتا) وطبيب ، وقد أراد المؤلف في هذه المسرحية أن يبين أنه يجب على الإنسان أن يكون ذا إرادة وقدرة على مواجهة الحياة ، وأنه لابد أن يفعل شيئًا لكي يكون جديرًا بهذه الحياة .

فقد جعل شخصية (مت) تواجه المجهول بشكل رمزي ، وهذا المجهول يتمثل في مجموعة من الناس لا تظهر على خشبة المسرح ، وإنما هم مجرد أصوات تزعجه وتقلقه وتسخر منه ومن ركوده ، وتطالبه بأن يخرج ويتحرك ويقدم لهم الخلاص، والخلاص هنا دعوة لتغيير الواقع الذي يعيشه المجتمع ، فعليه أن يفعل شيئًا وأن لا يستسلم للأمر الواقع وألا يظل مكفوف الأيدي :

: "عند فتح الستارة لا نجد أحدًا على خشبة المسرح .. من اليمين يُسمع صوت حشد من الناس .. الضجة تعلو شيئًا فشيئًا .. يسمع صوت قبضاتهم وأصوات العصي على الباب ومن خلال الضجة تعلو هذه الأصوات" ..

هي .. ألم تنتبهوا بعد ؟

ألا تزالون على قيد الحياة ؟

ليحدث ما سيحدث ؟

نريد أن نعرف من سيموت ؟

أين هو الذي سيموت ؟

مت : "ينادي نحو الأعلى" بابا .. أبي .. أبي ..

نك : "مهرولاً" ماذا يحدث لك يا مت ؟ ماذا هناك ؟

مت : إن ضوضاء هؤلاء الأوباش تثير أعصابي .

ري : "للموجودين في الخارج" حقيرون .. إنهم متشوقون للدم[١] .

ويطالعنا المؤلف بشخصية (الطبيب) الذي أراد منه أن يكون مُخَلِّصًا ، وهي دعوة أخرى للخروج من الواقع المرير والخلاص من التعسف الذي جار عليهم ، وأن هذا الطبيب هو الذي سوف يمنحهم العيش الرغيد ، ويبقى الجميع بانتظار الطبيب المُخلِّص ، وعندما جعل نسين هذه الشخصية (طبيبًا) فإنه يعي تمامًا مقدار الهم الإنساني الذي تحمله ، ومدى أبعادها الفكرية ، وهنا إدانة واضحة ممن يقود المجتمع ، ساخرًا

(١) عزيز نسين ، مسرحية (افعل شيئًا يا مت) ، المصدر السابق ، ص٢٠_٢١ .

منهم ، فأراد من هذا الطبيب أن يكون الوجه الصحيح الذي يُخلِّصنا ممن يزرعون الحقد والظـــلام وتوقــف العالم :

نك :"في الهاتف" ألو ..المستشفى ؟ أنا نك .. متى سيحضر الطبيب يا آنسة ؟ "يستمع" منذ أيام وأنتِ تقولين نفس الكلام .. لو أنه فعلاً قد خرج للطريق لكان من الضروري أن يصل الآن .. أرجوك .. أرجوك رجاءً حارًا .. أخبريه أننا ننتظره .. أشكرك "يغلق السماعة بلطف" .

ري : "تقف إلى جانب زوجها أثناء الحديث وتتحدث إليه باهتمام" ماذا قالوا يا نك؟ هل سيأتي؟

نك : "بعصبية" سيأتي حتمًا .. سيأتي سواء شئنا أم أبينا .. سيأتي على كل الأحوال ، ولكن متى ؟ منذ أيام وهم يَعِدُون .

ري : حسنًا .. ماذا قالوا ؟ متى سيأتي ؟

نك : من أين لي أن أعرف؟ (١) .

إن عبقرية نسين المتمثلة في قدرته على التقاط صور من الحياة والسخرية منها جعلته قريبًـــا كـــل القرب من المجتمع ، واضعًا الحلول له ، وهو في هذه المرة يسخر من القضاة والمحـــاكم ، وهنـــا إشـــارة واضحة إلى مظلوميته التي عاشها في شبابه ، لا سيما وأنه قد حُكم عليه مرتين ، فبرز ذلك بشـــكل ســـاخر مغلف بالرمزية العالية والأفكار المبطنة:

هين :إن حياتي غير طبيعية .. لقد مت أولاً ، وبعد أن مضى على مـــوتي الكثيـــر عدت ثانيةً إلى العيش .

مت : مت ؟ كيف مت ؟

هين : أنا لم أمت .. وإنما قتلوني ؟

مت : قتلوك ؟

هين : نعم .. شنقوني .. القانونيون لم يفعلوا شيئًا مناقضًا .. لقد حوكمت أمام ثلاثة من كبار قضاة وطننا ، وحسب مقتضيات القانون فقد كان من الضـــروري أن أُشنق .. فشنقوني .. شنقوني عند الفجر في الساحة العامة وبقيت معلقًا بالحبل لمدة ساعتين ، وجاءت الجموع وبصقت على وجهي .. ثم ربطوا فـــي ســـاقي حبلاً وسحلوني في الشوارع..(٢) .

والسخرية على الرغم من شكلها الهازل إلا أنها تجسدت في هذه المسرحية بشكل مأساوي يبتعد عن المعنى البسيط المتعلق بالعيوب السطحية ورصدها ، بل إنها دخلت في أعماق مشكلات الإنسان فـــي ســـعيه وراء الخلاص ، وقد استطاع نسين كتابة هذه المسرحية بشكل مختلف عما كتبه ســـابقًا موظفًـــا الأســـطورة والرمز والخيال الجامح لتجسيد الفكر التجريدي في أشكال حية .

وهكذا نجد نسين قد اتخذ من السخرية طريقًا معالجًا ومصلحًا لمجتمعه نحو الخير والسعادة والأمل ، وتبقى مسرحية (افعل شيئًا يا مت) خير دليل على إمكاناته المسرحية في الكتابة الرمزية ، وتقديم أفكار تعالج

---

(١) المصدر نفسه ، ص٢٢_٢٣ .

(٢) عزيز نسين ، مسرحية (افعل شيئًا يا مت) ، المصدر السابق ، ص١٢٧ .

قضايا كثيرة بشكل ساخر، ويأتي ذلك من إيمانه بالفن المسرحي واتخاذه مثالاً للتوعية والإرشاد والوعظ ، وهو يرى أنه بمقدور المسرح أن يغير العالم الذي تختلف فيه السياسات ، خاصةً أن الرؤساء الدكتاتوريين يخافون من المسرح ، ونسين عندما أراد أن يكتب للمسرح – وتحديدًا الساخر منه – كان يعي أهمية هذا الفن الذي عشقه طيلة حياته .

الخاتمة (النتائج)

١. السخرية عملٌ ايجابي بنَّاء ، وفن إبراز الحقائق المتناقضة والأفكار السلبية في صور تبتعد عن الهجوم المباشر مرتبطةً بعدد من المفاهيم الأخرى كالمفارقة والتهكم والكناية والهجاء.

٢. وظَّف نسين السخرية كوسيلة للتعبير عن المواقف الحياتية التي يمر بها وعدها أسلوبًا لرفض ما يدور في مجتمعه .

٣. اتخذت صُوَر السخرية في مسرح نسين شكلاً مغايرًا، فقد حاول أن يمزج الجد بالهزل، والرومانتيكية بالواقعية، والحقائق الذهنية بالفلسفية، والجانب الحسي بالجانب العقلي، في تهكم قاسٍ وسخرية لاذعة ونقد جدلي .

٤. انطلق نسين في سخريته من تمرد ورفض كبيرين ، يقترن التعبير عنهما بقدر قليل من القسوة التي تأتي مُغَلَّفة بروح الدعابة والمرح الظاهرين ، لكنها أبدًا تقطر بالمرارة والألم وحب المؤمن لشعبه وحريته وكرامته وسيادته .

٥. سخر نسين في مسرحية (وحش طوروس) من الشعوذة والسحر ، وهو بذلك يعود إلى التراث الشعبي رابطًا إياه بالمعاصرة ، وهو تراث مليء بالسخرية والمواقف المضحكة .

٦. أدان نسين في مسرحية (وحش طوروس) وفي جو ساخر المهازل السياسية التي تحاك ضد الشعوب المسكينة ، وهي إدانة واضحة للواقع السياسي الذي عاش في كنفه لسنوات طويلة ، رافضًا إياه بكل أنواع الرفض .

٧. أراد نسين في مسرحية (افعل شيئا يا مت) أن يجعل الإنسان ذا إرادة وقدرة على مواجهة الحياة ، ولابد أن يفعل شيئًا لكي يكون جديرًا بهذه الحياة ، وأن يسخر من ركوده ، ومن الواقع الذي يعيشه المجتمع .

٨. إن عبقرية نسين في قدرته على التقاط صور من الحياة والسخرية منها جعلته قريبًا كل القرب من المجتمع، واضعًا الحلول له ، وهذا ما جسده في مسرحية (افعل شيئا يا مت) عندما سخر من القضاة والمحاكم، وهو انعكاس لما عاشه من مظلومية في شبابه .

قائمة المصادر والمراجع

& الكتب

أولاً / المصادر العربية

إبراهيم ، زكريا ، سيكولوجية الفكاهة والضحك ، (القاهرة : مكتبة مصر للمطبوعات ، ٢٠١٢م) .

أبو شنب ، عادل ، مسرح عربي قديم (كراكوز) ، ط٢ ، (دمشق : منشورات وزارة الثقافة ، ٢٠٠٤م) .

الحسيني ، عيسى خليل محسن ، المسرح : نشأته وآدابه وأثر النشاط المسرحي في المدارس ، (عمان : دار جرير للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦م) .

الشرقاوي ، محمد ، برناردشو والمسرح الاشتراكي ، (القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤م) .

محفوظ ، عصام ، مسرح القرن العشرين : المؤلفون ، ج١ : (بيروت : دار الفارابي ، ٢٠٠٢م) .

مخلف ، شاكر الحاج، الأعمدة والفضاء : دراسة نقدية في الأدب والمسرح التركي الحديث ، (دمشق : منشورات دار علاء الدين ، ١٩٩٨م) .

_____ ، ثلاثة أصوات في الأدب التركي الحديث ، سلسة الموسوعة الثقافية ١٢٤ ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠١٣م) .

الهوال ، حامد عبده ، السخرية في أدب المازني ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٢م) .

ثانيًا / المصادر المترجمة

أنيكست ، أ. ، تاريخ دراسة الدراما : نظرية الدراما من هيغل إلى ماركس ، ترجمة : ضيف الله مراد ، (دمشق : منشورات وزارة الثقافة ، ٢٠٠٠م) .

بافي،باتريس ، معجم المسرح ، ترجمة : ميشاف ف. خطار (بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، ٢٠١٥م)

برجسون ، هنري ، الضحك ، ترجمة : سامي الدروبي وعبد الله عبد الدايم ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م) .

ميليت، فرد ب.،وجيرالد ايدس بنتلي،فن المسرحية،ترجمة:صدقي خطاب،(بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٦م) .

نسين ، عزيز ، آه منا نحن المثقفون الجبناء ، ترجمة : أحمد سليمان الإبراهيم (دمشق : دار زوريا للطباعة والنشر ، ٢٠٠٦م) .

& المعجمات والموسوعات

الحسيني ، جعفر ، معجم مصطلحات المنطق ، (بقيع : دار الاعتصام للطباعة والنشر ، دت) .

راغب ، نبيل ، موسوعة الإبداع الأدبي ، (القاهرة : الشركة المصرية العالمية للنشر ، ١٩٩٦م) .

& الدوريات

نسين،عزيز، التعريف بالمسرح التركي ، في مجلة الموقف الأدبي،(دمشق:منشورات اتحاد الكتاب العرب ، العدد ١٣٤ ، حزيران ١٩٨٢م) .

& المسرحيات

نسين،عزيز،الأعمال المسرحية الكاملة،ترجمة:فاروق مصطفى،ج١،(دمشق:منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٦م) .

_____، مسرحية افعل شيئًا يا مت ، ترجمة : جوزيف ناشف ، مراجعة : إبراهيم الداقوقي ، سلسلة من المسرح العالمي ١٩٧ ، (الكويت : وزارة الإعلام ، ١٩٨٦م) .

_____، مسرحية وحش طوروس ، ترجمة : جوزيف ناشف ، مراجعة : إبراهيم الداقوقي ، سلسلة من المسرح العالمي ١٩٦ ، (الكويت : وزارة الإعلام ، ١٩٨٦م) .

& مواقع الإنترنت

فيلم (جحا القرن العشرين) ، نشر في موقع (اليوتيوب) بتاريخ ٢٠٠٥/٦/٢٩م ، ينظر الرابط أدناه :
https://www.youtube.com/watch?v=FThHnKwCsTw

ملحق رقم (١)

مؤلفاته

تنوعت مؤلفاته بين الرواية والقصة القصيرة والمسرحية والمذكرات والخواطر والعمود الصحفي ، وسيذكر الباحث نماذج من عناوين هذه الكتب وبحسب الحقل الإبداعي ، كما هو مبين في الجدول أدناه:

الرواية
الحمار الميت
الهداف
الفهلوي
بتوش الحلوة
السرنامة
يحيى يعيش ولا يحيى
بين الراكب والماشي
الطريق الوحيد
أطفال آخر الزمن
الطريق الوحيد
زوبك
القصة
في إحدى الدول
مجنون على السطح
أي حزب سيفوز
نصيب الحي
أه منا نحن الحمير
كيف ينقلب كرسي
غاز الشرف الأخضر
يسلم الوطن
مرحبا بعامي السبعين
أسفل السافلين
لا تنسَ تكة السروال
صراع العميان
تري .. لي .. لم
الإضراب الكبير
الكرسي
صحوة الناس

ذنب الكلب
يساري أنت أم يميني ؟
العسل المبرطم
صراع العميان
الدغدغة
خذوا حذركم
ألا يوجد حمير في بلدكم
لن تصبح بشرًا
لن نتطور أبدًا
محمود وينكار
قطع تبديل الحضارة
لا تنزعج
إنه باقٍ
الاحتفال بالقازان
المسرحية
هل تأتون قليلاً؟
وحش طوروس
افعل شيئًا يا مت
حرب المصفرين وماسحي الجوخ
ثلاث مسرحيات أراجوزية
جيجيو
امسك يدي يا روفني
هيا اقتلني يا روحي
خمس مسرحيات قصيرة
مذكرات وخواطر
في قسم الشرطة
مجانيني
ذكريات من المنفى
آه منا نحن المثقفون الجبناء
أدب الرحلات
العراق ومصر

ملحق رقم (٢) جوائزه

تنوعت الجوائز التي حصل عليها نسين ، وسيذكرها الباحث فيما يلي مع الإشارة إلى البلد المانح ، وسنة الحصول عليها ، كما هو مبين في الجدول أدناه:

السنة	الجائزة	البلد
١٩٥٦	السعفة الذهبية	إيطاليا
١٩٥٧	السعفة الذهبية	إيطاليا
١٩٦٦	القنفذ الذهبي	بلغاريا
١٩٦٨	الجائزة الأولى في مسابقة قراجة أوغلان	تركيا
١٩٦٩	التمساح الأولى	الاتحاد السوفيتي
١٩٦٩	المجمع اللغوي	تركيا
١٩٧٥	اللوتس الأولى	اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا